

منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل

أ.م.د. لطيف حاتم عبد الصاحب الزامل
كلية التربية – جامعة القادسية

الملخص :

انمازت النظرية النحوية المدونة في كتاب سيبويه بشموليتها ، وتعدّ أنساقها الإجرائية ، وتنوع مناهجها الواسعة ، أو المحلّة ؛ ذلك أنّ الأسس المنهجية لمجمل النظرية قد انطلقت من تصوّر ملحوظ يقوم على وصف طرائق التكلّم وإجرائها على الكلام المستعمل .

فلا غرابة ، إذن ، في أنّ يلتقي سيبويه مع ما أفرزته مناهج النّظر اللغوي الحديث من إجراءات منهجية . فقد امتحن سيبويه التراكيب النحوية ، وحلّ بنيتها ، فتيّن له أنّ مكونات نحوية معينة تقوم بوظائف متشابهة في السياق الواحد ، وتخضع للعلاقات النحوية نفسها على الرغم من تباين أشكالها . وهذا لا يتمّ إلا بالاستبدال الذي يظهر وظيفة كل وحدة لغوية ويحددها .

من هنا استوى هذا المفهوم في خلدي بحثاً بعد أن وجدت في مناهج التّوسع اللغوي الحديث ما يوافقه نظراً وإجراءً . فحاولت أن أدرس الأسس المنهجية للاستبدال في كتاب سيبويه ، والمواضع التي تحقق فيها هذا المنهج بوسائل تفسيرية تقود إلى نتائجها دون تعسفٍ أو إقحام .

وأما الاستبدال في معناه الاصطلاحي فلم يخرج عن معنى المبادلة ؛ إذ هو ((إحلال عنصر لغوي محلّ عنصر آخر في سياق لغوي واحد))^(٣) . والإحلال هو استبدال تقول: هذا محل هذا أي : هذا مكان هذا . ويلحظ أن الاستعمال النحوي لمصطلح الاستبدال عام في أنحاء جميع اللغات مثلما أظهره البحث اللغوي المقارن^(٤) ؛ لأنّ استعماله في التحليل يفيد في تحديد طبيعة الظواهر اللغوية ، وكذلك يفيد في كلّ حالة من حالاته في تبين ما هو خصيصة عامة ، وما هو

أولاً: الاستبدال - مفهوماً ومنهجاً

الاستبدال مصدر بمعنى المبادلة أو التبادل في المكان ((والدليل على هذا قول العرب : هذا لك بدل هذا ، أي هذا مكان هذا))^(١) . وقد ورد المعنى نفسه في لسان العرب ، قال ابن منظور: ((وتبدّل الشيء ، وتبدل به ، واستبدله ، واستبدل به ، كلّه اتخذ منه بدلاً . وأبدل الشيء وبدّله : اتخذ منه بدلاً .. واستبدل الشيء بغيره ، وتبدله به إذا أخذه مكانه . والمبادلة التبادل))^(٢) .

سمة مفردة^(٥). وبما أنَّ الاستبدال خصيصة عامة تشترك فيها كل اللغات لتحديد طبيعة الظواهر اللغوية، فلا شك في أن فكراً واعياً متقدماً مثل فكر سيبويه لم يغفل هذا الاتجاه في تحليله ؛ لانطلاقه من تصور لغوي قائم على أسس منهجية منضبطة ومدركة لقواعد النظام اللغوي ومناهج تحليله.

يقوم منهج الاستبدال على مبدئين أساسيين هما: الصنف والوظيفة.

١- تحديد الأصناف اللغوية:

يعد التصنيف الخطوة المنهجية الأولى في سلّم بناء أي حقل معرفي . وبه يتم التعرف على مكونات النظام ؛ ذلك أنَّ كل صنف هو مفهوم عام يحتوي على حقائق جزئية تربطها بالصنف العام . وقد أدرك النحويون تلك الحقيقة فبدأوا منهجهم بتقسيم الكلم إلى أصناف ثلاثة تجلّت في مقولات (الاسم والفعل والحرف) . وهذا ما نلاحظه في أوّل كتاب نحوي متكامل هو كتاب سيبويه^(٦) ف ((هذا الموضع من الكتاب يمثل بداية الانطلاق في النظرية النحوية المدونة ؛ إذ يتم فيه حصر الأصناف الرئيسة للكلم العربية وتحديد ما بوصفها المقولات الأساسية في بناء الجملة))^(٧).

لقد صنّف سيبويه الكلم إلى أقسام ثلاثة، منها اثنان لهما معالم واضحة ومحددة هما (الاسم والفعل)، والآخر هو (الحرف) ؛ إذ لا تتحدد معالمه إلا مع غيره ؛ لذلك ربط النحويون في هذا السياق ((بين الاختصاص والعمل ، وجعلوا من شرط الحروف التي تعمل أن تكون مختصة . فالتى تختص بالأفعال مثل لم ولن ولما تعمل فيها ، والتي تختص بالأسماء كأحرف الجر تعمل فيها، وما لا يختص كالواو والفاء لا يعمل))^(٨).

وتقترب طريقة سيبويه في التصنيف من منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة عند المحدثين^(٩)؛ إذ إن سيبويه ((يصنّف ضرباً من الكلم تصنيفاً واحداً أي : ينسبها إلى باب واحد ، أو معنى نحوي واحد وفقاً لخبطه في الاستبدال ..))^(١٠). وهو نهج أساسي في المنهج الوصفي مثلما يرى هاريس^(١١). والاستبدال ومبدأ التحليل إلى المؤلفات المباشرة ((أهم منهجين لهذا الوصف اللغوي .. فبمساعدة الاستبدال تكشف فئات التوزيع ، وبمساعدة تحليل المكونات [تحدد] القواعد التي يمكن وفقاً لها أن تربط عناصر فئات مختلفة بعضها ببعض))^(١٢).

وبحسب منهجي التحليل إلى المؤلفات المباشرة والاستبدال نرى أن سيبويه عند تصنيفه الكلم قد وضع ضرباً من الكلم مختلفة الأشكال والصيغ تحت مفهومي الاسمية والفعلية . فقد وضع المركبات الإضافية والوصفية والموصولات الاسمية في باب الاسم على الرغم من اختلاف أشكالها اللغوية .

قال : ((من قبل أنّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد منفرد، والمضاف إليه هو تمام الاسم ومقتضاه ومن الاسم))^(١٣)، وقال: ((.. وصار النعت مجزوراً مثل المنعوت؛ لأنها كالاسم الواحد))^(١٤). وقال: ((.. لأنّ أن والفعل بمنزلة اسم واحد))^(١٥)، وقال: ((أما أنّ فهي اسم وما عملت فيه صلة لها))^(١٦).

وأما في صنف الفعل فضلاً عن الصيغ الفعلية الأربعة (فَعَلَ، وفَعِلَ، وفَعَّلَ، وفُعِلَ) التي ((تتميز بواسطة الصوائت القصيرة اللاحقة للصامت الثاني من الأفعال الثلاثة الأولى ، وفي الصائتين اللاحقين للصامتين الأول والثاني في الفعل الرابع))^(١٧)، فإن سيبويه قد أدخل صيغاً أخرى تحت مفهوم الفعلية

بحسب خصائص ملاحظة تجعل هذه الصيغ تسلك مسلك الفعلية في الجملة ، ويصحّ استبدالها بالصيغ الأساسية للفعل ، وغيرها . قال : ((هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه ، وذلك قولك: عجبت من ضرب زيداً ، فمعناه أنه يضرب زيداً))^(١٨). وقال في المصادر النائية عن أفعالها نحو: حمداً : ((كأنّ قولك حمداً في موضع احمد الله.. وإِنَّمَا اختَزِلَ الفعل ههنا ؛ لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل))^(١٩). وقال : ((..فمفعولٌ مثل يُفعل، وفاعلٌ مثل يفعل))^(٢٠)، وقال في حمل صيغة التعجب (أفعل) على الفعل : ((فإنّما أجريته في الموضع مجرى الفعل في عمله ، وليس كالفعل...))^(٢١) .

وأما الصنف الثالث الذي هو الحرف فإنّ : ((أي تعريف يخص لأحد أعضاء هذا الصنف إنّما يأتي نتيجة العلاقة بينه وبين وظيفة نحوية معينة))^(٢٢). ويعتمد استبدال الحرف على علاقته بما بعده ، وعلاقته بسياق التركيب.

٢- الأصناف الوظيفية:

تتحدد وظيفة كل عنصر في الكلام بموضعه الذي يشغله ، وكذلك علاقته بالأجزاء الأخرى من التركيب. وقد ترددت كلمة موضع وموقع عند سيبويه كثيراً ، وهو ما يطابق معنى الوظيفة عند بلومفيد؛ إذ يقول: ((إن الموضع الذي تقع فيه وحدة لغوية هو وظائفها ، أو بصورة إجمالية وظيفتها))^(٢٣). ويقرن دارسو سيبويه بين الموضع والوظيفة مقارنة مطلقة، يقول كارتر : ((فلن يكون هناك شك في أن سيبويه أراد بمصطلح الموضع أن يعطي معنى الوظيفة))^(٢٤) فقد استنتج كارتر هذا الرأي بحسب ما أقره سيبويه في كتابه من توجيه نحو قوله : ((اعلم أنّ لكم

موضعين ، فأحدهما الاستفهام ، وهو الحرف المستفهم به بمنزلة كيف وأين . والموضع الآخر : الخبر ، ومعناها رَبٌّ))^(٢٥)، وكذلك قوله : ((الواو لا يكون موضعها في الكلام موضع الفاء))^(٢٦). وهناك أمثلة كثيرة سنذكرها في موضعها من البحث.

وقد حدّد المستشرق الإنكليزي كارتر عند دراسته لمنهج سيبويه في التحليل تلك الأصناف الوظيفية بسبعين صنفاً وظيفياً في اللغة منها : الابتداء والإسناد والنهي والأمر والاستفهام والجزاء والإضمار والإظهار والبذل والتكثير والتعريف وغيرها^(٢٧).

وتتوزع الأصناف الشكلية (الاسم والفعل والحرف) هذه الوظائف ، والوسيلة المتبعة في إظهار وظيفة كل صنف عند سيبويه هي نظرية العمل النحوي ؛ إذ هي تحدّد مسلك المفردات في بنية التركيب ؛ لأنّ كل وظيفة يتنازعها عنصران هما (العامل والمعمول) . وباستخدام منهج الاستبدال في التحليل تتحدد العلاقات التبادلية بين العناصر في النظام اللغوي . وقد امتحن سيبويه الوحدات اللغوية التي تنتمي إلى الصنف نفسه وإن اختلفت في الشكل أو المعنى باستبدالها بوحدات تنتمي إلى الصنف نفسه لتقوم بالوظيفة نفسها والعلاقة نفسها . ويعرف هذا النوع من التحليل في المنهج الوصفي الحديث بـ (التحليل إلى المؤلفات المباشرة) . يقول كارتر : ((إنّ طريقة سيبويه في الأساس شكل من أشكال التحليل للمكونات المباشرة))^(٢٨).

ثانياً : مظاهر الاستبدال النحوي وتحققها في

كتاب سيبويه:

ثمة مظاهر واضحة لهذا المنهج في كتاب سيبويه قد تجلت في عبارات تحمل المفهوم نفسه من

نحو: في موضع ، وموقع ، وبمنزلة ، وبدل ، وكأَنَّهُ قال ، ومجرى ، وتريد ، وغيرها. وقد استعمل سيبويه كل تلك المقولات في كتابه بحسب منهج استبدالي يقوم على معايير التصنيف والوظيفة ، فضلاً عن العمل والاختصاص.

ولاشك في أنَّ منهجه في الاستبدال يماثل طريقة المحدثين في التحليل إلى المؤلفات المباشرة والتوزيع ، وهما أصلان ملحوظان في المنهج الوصفي الشكلي عند البنيويين.

ولم يقتصر سيبويه على ما حصل فيه الاستبدال من الأصناف والوظائف ؛ بل ذكر ما يمتنع فيه الاستبدال ، منطلقاً من خصيستي التحليل والتوزيع ليؤكد الخصائص التي تنفرد بها كل لغة .

وسأتناول الوجهين (الجائز والممتنع) لبيان طبيعة المنهج الاستبدالي الذي تسلكه الجمل في الاستبدال ، وعلى النحو الآتي :

(١) ما يجوز فيه الاستبدال بين الوحدات في السياق الواحد ، ومظاهره هي :

أ. في موضع :

أشرنا في المبحث الأول إلى أنَّ الموضع عند سيبويه هو الوظيفة عند المحدثين ، مثلما تشير أقواله ، نحو قوله في : يوم الجمعة مبارك ، ويوم الجمعة صُمْتُه ؛ إذ قال : ((فإذا قلت : يوم الجمعة صُمْتُه ، فَصُمْتُه في موضع مبارك))^(٢٩) ، وقوله : ((وتقول : هذا رجلٌ ضَرَبْنَا ، فتصف بها النكرة ، وتكون في موضع ضارب إذا قلت: هذا رجلٌ ضاربٌ))^(٣٠) فاستبدال (صمته) بـ (مبارك) ، و(ضربنا) بـ (ضارب) جائز وفقاً لمنهج الاستبدال ؛ لأنَّ كلاً منهما مؤلف مباشر واحد ؛ إذ يقوم المستبدل بوظيفة المستبدل به ، وهي الخبر في الأولى ، والصفة في

الثانية ، فحُلَّت الجملة محلَّ المفرد ، وهو تبادل موضعي يحصل بلحاظ الموضع لا بلحاظ المعنى .

وأما استبدال وحدة لغوية بأخرى بحسب الصنف الذي تنتسب إليه فيلحظ ذلك في استبدال المصدر بالفعل نحو قوله : ((.. فيصير حذرٌ في موضع احذر ، وتحذيري في موضع حذرنى ، فالمصدر أبداً في موضع فعله))^(٣١) . وإحلال المصدر محلَّ الفعل مبدأ توزيعي في المنهج الوصفي الشكلي ؛ لانتساب كل منهما إلى صنف واحد هو الفعلية ، وهو ما جوز لهما الاستبدال في الموضع أو الوظيفة ، ومثله قوله : ((.. وقولك : عجباً منه في موضع أعجب منه ، وقوله : ولا كيداً في موضع ولا أكاد ولا أهم))^(٣٢) . ويدلك على أنَّ المراد هنا هو الوظيفة لا المعنى قوله : ((وإِنَّمَا اختزلوا الفعل هنا ؛ لأنَّهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل))^(٣٣) .

ب. وقع موقع :

ويراد بالموقع الوظيفة أيضاً ، ولا يكون إشغال الموقع إلّا بالوحدات اللغوية التي تنتسب إلى الصنف نفسه ، يقول سيبويه : ((وقد يقع الشيء موقع الشيء ، وليس إعرابه كإعرابه ، ذلك قولك : مررتُ برجلٍ يقول ذاك ، فيقول في موضع قائل ، وليس إعرابه كإعرابه))^(٣٤) . فاستبدال الفعل باسم الفاعل خصيصة توزيعية ؛ لأنَّهما من صنف واحد. وهناك جانب جدير بالنظر في تحليل سيبويه للتركيبين : (إِنَّ فيها زيداً قائماً) ، و (إِنَّ فيها زيداً قائمٌ) ؛ يقول سيبويه : ((وتقول : إِنَّ فيها زيداً قائماً ، وإن شئت رفعت على إلغاء فيها ، وإن شئت قلت : إِنَّ زيداً فيها قائماً وقائمٌ . وتفسير نصب القائم هنا ورفع كتفسيره في الابتداء ... إلّا أنَّ فيها هنا بمنزلة هذا في أَنَّهُ يستغنى على ما بعدها

(الأسماء))^(٣٨).

فسيبويه هنا ينطلق من مبدأ التوزيع الذي يمنع ظهور الاسم في هذا الموضع ؛ لأنّ الحروف الداخلة على الأسماء حروف مختصة بها ؛ لذلك نجد سيبويه يعالج المقولات الفعلية التي تظهر بعد حروف الجر بتحويلها إلى مقولات اسمية منطلقاً من العمل والاختصاص. ويلحظ ذلك في باب الحروف التي تضر فيها أن نحو قوله : ((وذلك اللام التي في قولك جِئْتُكَ لَتَفْعَلْ ، وَحَتَّى ، وذلك قولك : حتى تفعل ذاك فإنما انتصب هذا بأن ، وأن هنا مضمرة ، ولو لم تضرها لكان الكلام محالاً ؛ لأنّ اللام وحتى يعملان في الأسماء فيجران ، وليستا من الحروف التي تضاف إلى الأفعال. فإذا أضمرت أن حَسَنَ الكلام ؛ لأنّ أن وتفعل بمنزلة اسم واحد ، كما أنّ الذي وصلته بمنزلة اسم واحد ؛ فإذا قلت : هو الذي فَعَلَ فكأنك قلت : هو الفاعل ، وإذا قلت : أخشى أن تفعل فكأنك أخشى فِعْلَكَ . أ فلا ترى أن تفعل بمنزلة الفعل ، فلما أضمرت أن كنت قد وضعت هذين الحرفين مواضعهما ؛ لأنّهما لا يعملان إلّا في الأسماء ، ولا يضافان إلّا إليها ، وأنّ تفعل بمنزلة الفعل))^(٣٩).

ومثله قوله في تأويل ما والفعل بالاسم لتشغل موقع الفاعل ووظيفته في الجملة قال : ((ومثل ذلك في الكلام فيما حدثنا أبو الخطّاب : ما زاد إلّا ما نَقَصَ وما نَفَعَ إلّا ما ضَرَّ فما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النُقْصَان والضَّرر... ولولا (ما) لم يجر الفعل بعد إلّا في ذا الموضع ..))^(٤٠). فعندما نفحص تلك المقولات لسيبويه نجده يمارس نوعاً من التحليل يصب عنايته منه على سلوك الجملة لا على سلوك المتكلم ، وبذلك ((يكون المتكلم فيها على وشك أن

السكوت وتقع موقعه ...))^(٣٥). ففي التركيب الأوّل تعمل فيها بوصفها خبراً مقدّماً فتصبح كلمة (قائماً) خارج بنية التركيب ، ولكن الاستغناء عنها لأنّ الكلام الذي قبلها كلام تام يحسن السكوت عليه. وأمّا في التركيب الثاني فأصبحت كلمة (فيها) خارج بنية التركيب؛ لأنّ كلمة (قائم) هي الخبر، وبها استغنى الكلام وحسن السكوت . فمن أجل أن يستقيم الاستبدال لجأ سيبويه في تحليله إلى طريقة الإلغاء، وبالإلغاء صار التركيب الثاني بديلاً للتركيب الأوّل، وهو نوع من التحليل لم يألّفه النحو العربي بعد سيبويه^(٣٦).

وقد تقع الأفعال موقع الأفعال في سياقات معنية كالجاء مثلاً ، قال سيبويه : ((وتقول : إن فَعَلَ فعلت ، فيكون في معنى إن يفعل أفعل ، فهي فعل كما أنّ المضارع فعلٌ وقد وقعت موقعها في إن))^(٣٧)، وهذا لا يصح إلّا في الجاء ؛ لأنّ استبدال المضارع بالماضي ، أو الأمر بالمضارع ممتنع في كلامهم مثلما يشير سيبويه . وفي هدي هذا التحليل يربط سيبويه موقع الفعل بصيغته ، فالماضي لا يستبدل بالمضارع والمضارع لا يستبدل بالأمر ، وقد يحصل ذلك في سياقات خاصة جداً تخضع لنظام اللغة وحركة تراكيبها كما لاحظنا.

تـ. بمنزلة :

عند تتبع هذه المقولة في الكتاب وملاحظة طرائق التوجيه بها عند سيبويه تبين أنّ استعماله للمقولة ينطلق من خطوط دقيقة في التحليل تشير إلى مواقع العناصر اللغوية والعلاقات الاستبدالية التي تربطها وخصائصها التوزيعية . قال : ((ولو بمنزلة إن لا يليها إلا الأفعال ، فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل مضمّر في هذا الموضع تبنى عليه

يسلم الأمر لقواعد البنى النحوية التي ليس له القرار على شكلها النهائي ، بل يقرره العمل الذي يعمل به أحد العناصر في كلامه على عنصر آخر))^(٤١).

ث. بدل :

هو إحدى علاقات التوزيع في المنهج الاستبدالي التي استعملها سيبويه في تحليله لعدد من الأبواب النحوية منطلقاً من تصور الإحلال في الموضع ، وإمكانية العناصر اللغوية في أداء وظيفة واحدة فيغني العنصر الثاني عن العنصر الأول عند استبداله به بعد أن مهّد لذلك بالتمثيل له ، قال : ((وهذا مكان هذا ، وهذا رجل مكانه إذا أردت البدل.. ويقال : للرجل اذهب معك بفلان فيقول : معي رجل مكان فلان أي : معي رجل يكون بدلاً منه ، ويغني غناه ويكون مكانه))^(٤٢).

ويطلق المحدثون على هذا النمط من التوزيع ((التوزيع التقابلي kontrastire))^(٤٣)، ويتمثل بنوعين من العلاقات، أحدهما: علاقة الاشتمال^(٤٤) ومنه قول سيبويه: ((كأنه إذا قال : هنيئاً له الظفر فقد قال: ليهنئ له الظفر، وإذا قال: ليهنئ له الظفر، فقد قال: هنيئاً له الظفر، فكل واحد بدل من صاحبه))^(٤٥).

وأما العلاقة الأخرى في التوزيع التقابلي فتسمى بعلاقة التوزيع المتقاطع^(٤٦)؛ لأنه يحصل الاستبدال في بعض السياقات ، وهي لكل منها سياقاته الخاصة ومنها استبدال الأسماء بالمصادر في بعض السياقات نحو قول سيبويه : ((ومن ذلك قول العرب: فاهاً لفيك ، وإنما تريد :فا لداهية ، كأنه قال: ترباً لفيك فصار بدلاً من اللفظ))^(٤٧).

ج. جرى مجرى :

فقد استعمل سيبويه هذه (المقولة) للإشارة إلى

أنّ الموضوعية قد تكسب بعض البنى سماتٍ نحوية لم تكن لها سابقاً ، ولم تدل عليها في صيغتها مثلما هي الفعلية في لدن غدوة وصيغة التعجب ، قال في ما أحسن زيدا : ((فإنما أجرته (يريد أحسن) في الموضع مجرى الفعل في عمله ، وليس كالفعل ولم يجيء على أمثله ، ولا على إضماره ، ولا تقديمه ولا تأخيرها ولا تصرفه، وإنما هو بمنزلة لدن غدوة ، وكم رجلاً فقد عملا عمل الفعل وليس بفعل ولا فاعل))^(٤٨). فقد لاحظ سيبويه النصب في زيد وفي غدوة ، وانطلاقاً من نظرية العمل النحوي التي تحكم توجيهه؛ إذ لا بد من عامل للنصب ، وبما أنّ الصيغ التي تسبق المنصوب ليست صيغاً فعلية شغلت في الكلام موضع المسند فيكون الحدث فيها أقرب إلى ما يكون في كان . وقد يحصل ذلك مع الصفات غير العاملة إذ تشغل موضع المسند في الكلام ، قال : ((هذا باب ما جرى من الأسماء التي تكون صفة مجرى الأسماء التي لا تكون صفة ، وذلك أفعل منه ومثلك وأخواتها ، وحسبك من رجل ، وسواء عليه الخير والشر..))^(٤٩). ويلحظ أنّ سيبويه في هذا الموضع من التحليل وصفي يدعو إلى إتباع طرائق التكلم المستقرة في الاستعمال والتقييد بها ، وذلك في قوله عند توجيهه لظرفي الزمان والمكان (متى وأين) ، يقول : ((وأجر أين في الأماكن مجرى متى في الأيام))^(٥٠)، ويقول : ((فليس لك في هذه الأشياء إلا أن تجريها على ما أجروها ، ولا يجوز لك أن تريد بالحرف غير ما أرادوا))^(٥١).

ح. كأنك قلت ، وكأنه قال :

هذه المقولة توسع في التحليل ، وزيادة في التوضيح والتفسير ؛ لأنها كثيراً ما ترافق المقولات الدالة على الوظائف النحوية التي مرّ ذكرها .

((ويقوم هذا المنهج على ضبط العلاقة بين الوظيفة النحوية ، وهي تمثل ، في العادة ، خانة أو موقعاً يكون ثابتاً ، ويكون متغيراً ، وبين مفردات الباب التي يمكن أن تحتل تلك الخانة ، أو أن تقع ذلك الموقع ، وينبني هذا المنهج على اعتبار الأمرين مجتمعين))^(٥٢). وبما أن العربية لغة معربة تكون علاقات الاستبدال فيها بين الموضع والحالة الإعرابية الملازمة للموضع ، ومنه قول سيبويه: ((وذلك قولك : يوم الجمعة ألقاك فيه ، وأقل يوم لا ألقاك فيه ، وأقل يوم لا ألقاك فيه ، وأقل يوم لا أصوم فيه ، وخطيئة يوم لا أصيد فيه ، ومكانكم قمت فيه . فصارت هذه الأحرف ترتفع في الابتداء كارتفاع عبد الله ، وصار ما بعدها مبنياً عليها كبناء الفعل على الاسم الأول ، فكأنك قلت : يوم الجمعة مبارك ، ومكانكم حسن ، وصار الفعل في موضع هذا))^(٥٣). وكذلك قوله : ((وتقول لأضربنه ذهب أومكث كأنه قال : لأضربنه ذاهباً أو ماکثاً))^(٥٤)، وقوله : ((وتقول : كل رجل يأتيك فاضرب ، نصب لأن يأتيك ههنا صفة فكأنك قلت : كل رجل صالح اضرب))^(٥٥).
(٢) ما يمتنع فيه الاستبدال بين العناصر اللغوية في السياق الواحد ، ومظاهره هي :
أ. يمتنع في الأسماء أن تجري مجرى المصادر ؛ لأن وظيفة المصدر غير وظيفة الاسم ، قال سيبويه : ((والأسماء لا تجري مجرى المصادر . ألا ترى أنك تقول : هو الرجل علماً وفقهاً ، ولا تقول : هو الرجل خيلاً وإبلًا))^(٥٦).
ب. يمتنع في الكلام أن توضع الصفة موضع الاسم . قال سيبويه : ((ولو قلت : أنتني ببارد كان قبيحاً ، ولو قلت : أنتني بتمر كان حسناً ، ألا ترى كيف قبح أن يضع الصفة موضع بينما يراد من الصفة الشيء

بعينه ، أو التشبيه))^(٥٧). يدل على ذلك قول سيبويه في الطين : ((لأن الطين اسم وليس مما يوصف به))^(٥٨).

ث. لا يجري الاستبدال إلا على وفق الاستعمال الصحيح عند أهل اللغة لذلك منع سيبويه استبدال بعض البنى بأخرى ، قال : ((هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام في غير ما وضعت العرب ، وذلك قولك : ويح له وتب ، وتباً لك وويحاً ، فجعلوا التب ، بمنزلة الويح ، وجعلوا ويح بمنزلة التب فوضعوا كل واحد منهما على غير موضعه الذي وضعته العرب ، ولابد لويح مع قبحها أن تحمل على تب ، فأما النحويون فيجعلونها بمنزلة ويح ، ولا تشبهها ؛ لأن تباً تستغني عن لك ، ولا تستغني ويح عننا))^(٥٩).

ث. يمتنع عند سيبويه الاستبدال في الصيغ الفعلية، فلا يقع الأمر منها موقع الماضي ، ولا الماضي موقع المضارع في سياق واحد ، قال في صيغة الأمر اضرب : ((والوقف قولهم : اضرب في الأمر ، لم يحركوها ؛ لأنها لا يوصف بها ، ولا تقع موقع المضارعة ... وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه افعل))^(٦٠).

د. لكل حرف وظيفته في السياق الواحد ؛ لذا يمتنع عند سيبويه استبدال حرف بآخر قال : ((.. إلا أن الواو لا يكون موضعها في الكلام موضع الفاء))^(٦١). وكذلك قوله في حروف النداء، قال: ((...ولا يكون مكان "" يا "" سواها من حروف التنبيه نحو أي، وهيا، وأيا))^(٦٢). وكذلك ما يحصل في الحروف المتشابهة في العمل نحو ما وليس قال : ((كما أن ما لم تقو قوة ليس ، ولم تقع في كل مواضعها))^(٦٣).

المشتركة بين منهج سيبويه في الاستبدال وما أفرزته المناهج الحديثة من مبادئ في التحليل .

هوامش البحث :

- (١) الكتاب : ١٤٣ / ٢ .
- (٢) لسان العرب : ١١ / ٥٦ (بدل) .
- (٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٠٦ .
- (٤) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم جومسكي: ٢١١، هامش المترجم .
- (٥) ينظر: المصدر السابق ، والصفحة نفسها .
- (٦) ينظر: الكتاب : ١ / ١٢ . قال سيبويه : ((فالكلم اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)) .
- (٧) مفهوم الجملة عند سيبويه : ٧٣ .
- (٨) نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث: ٣٤ .
- (٩) ينظر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد: ٣٨ . ٣٩ ، ونظرية النحو العربي: ٣١ .
- (١٠) نظرية النحو العربي : ٣١ .
- (١١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٠٥ .
- (١٢) مناهج علم اللغة : ٢٦٥ .
- (١٣) الكتاب : ٢ / ٢٢٦ .
- (١٤) المصدر السابق : ١ / ٤٢١ .
- (١٥) المصدر السابق : ٦ / ٣ .
- (١٦) المصدر السابق : ٣ / ١١٩ .
- (١٧) مفهوم الجملة عند سيبويه : ٨٤ .
- (١٨) الكتاب : ١ / ١٨٩ .
- (١٩) المصدر السابق : ١ / ٣١٩ .
- (٢٠) المصدر السابق : ١ / ١٠٩ .
- (٢١) المصدر السابق : ١ / ٩٦ .
- (٢٢) نحوي عربي : ٣٤ .
- (٢٣) المصدر السابق : ٣٢ ، ونظرية النحو العربي : ٣٩ .
- (٢٤) نحوي عربي : ٣٢ .
- (٢٥) الكتاب : ٢ / ١٥٦ .
- (٢٦) المصدر السابق : ٣ / ٤٣ .
- (٢٧) ينظر: نحوي عربي : ٣٤ . ٣٦ .
- (٢٨) المصدر السابق : ٣٦ .

ويلحظ أنَّ الوسائل التي اعتمدها سيبويه جاءت بحسب مقتضيات البنية التوزيعية وقبولها للاستبدال النحوي في مواضع ، وامتناعها في مواضع أخرى وفقاً لمعطيات لغوية أقرها الاستعمال ، وأظهر التحليل النحوي مزاياها ، وكأنه يرسم طريقاً ، ويضع حدوداً لابن اللغة في التصرف بنظام لغته مما أكسب التحليل عند سيبويه مرونة وحيوية تلتقي مع افرازات المناهج الحديثة ومبادئها في التحليل .

خاتمة البحث :

يمثل هذا النوع من التحليل طريقة متقدمة وواعية تصف قدرة ابن اللغة على التصرف بتراكيبها وتوليد جمل بأشكال مختلفة تعكس صورة نظامها وبنيتها التوزيعية في الاستبدال النحوي .

وقد أدرك سيبويه تلك الحقيقة فانطلق في تحليله من تصوّر شامل يغوص في عمق التراكيب فيتناول أنساقها مظهراً خصائصها الاستعمالية ، وقدرتها على الاستبدال بين العناصر اللغوية المتشابهة في الصنف والوظيفة في السياق الواحد . وامتنح سيبويه التراكيب اللغوية بحسب قدرتها على الاستبدال مبيّناً الوجوه الجائزة للاستبدال ، والوجوه الممتنعة منه بحسب خصائصها الشكلية وأصنافها الوظيفية عبر مقولات تشير إلى وظائف العناصر اللغوية التي تتوزعها الأصناف الشكلية الثلاثة (الاسم والفعل والحرف) دون إهمال نظرية العمل النحوي والاختصاص مما يظهر براعة سيبويه في التحليل والوسائل المستعملة في التوجيه ؛ لإظهار الخصائص المتفردة للعربية ، والخصائص المشتركة مع اللغات الأخرى .

وقد حاول هذا البحث أن يحدّد الخطوط

(٢٩) الكتاب : ١ / ٨٤ .

(٣٠) المصدر السابق : ١ / ١٦ .

(٣١) المصدر السابق : ١ / ٢٥٢ .

(٣٢) المصدر السابق : ١ / ٣١٩ .

(٣٣) المصدر السابق : ١ / ٣١٩ .

(٣٤) المصدر السابق : ٢ / ١٣٢ ، وينظر : المنهج

الوصفي في كتاب سيبويه : ٢٧٥ ، فيرى الباحث أن هذا الاستبدال الموقعي بين اسم الفاعل والفعل المضارع قد جرى على وفق التطابق الدلالي لا الإعرابي .

(٣٥) المصدر السابق : ٢ / ١٣٢ .

(٣٦) ينظر: نحوي عربي : ٣٨ .

(٣٧) الكتاب : ١ / ١٦ .

(٣٨) المصدر السابق : ١ / ٢٦٩ .

(٣٩) المصدر السابق : ٣ / ٦٠٥ .

(٤٠) المصدر السابق : ٢ / ٣٢٦ .

(٤١) نحوي عربي : ٣٥ .

(٤٢) الكتاب : ١ / ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٤٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث للغوي المعاصر : ٢٠٦ .

(٤٤) ينظر: المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤٥) الكتاب : ١ / ٣١٧ .

(٤٦) آفاق جديدة : ٢٠٦ .

(٤٧) الكتاب : ١ / ٣١٥ .

(٤٨) المصدر السابق : ١ / ٩٦ .

(٤٩) المصدر السابق : ٢ / ٢٢ .

(٥٠) المصدر السابق : ١ / ٢٢٠ .

(٥١) المصدر السابق : ١ / ٢١٨ .

(٥٢) نظرية النحو العربي : ٤٢ - ٤٣ .

(٥٣) الكتاب : ١ / ٨٤ .

(٥٤) المصدر السابق : ٣ / ١٨٥ .

(٥٥) المصدر السابق : ١ / ١٣٦ .

(٥٦) المصدر السابق : ١ / ٢٨٧ .

(٥٧) المصدر السابق : ١ / ٢٧٠ .

(٥٨) المصدر السابق : ٢ / ١١٧ .

(٥٩) المصدر السابق : ١ / ٣٣٤ .

(٦٠) المصدر السابق : ١ / ١٧ .

(٦١) المصدر السابق : ٣ / ٤٣ .

(٦٢) المصدر السابق : ٢ / ٢١٨ .

(٦٣) المصدر السابق : ١ / ١٢٣ .

ثبت المظان

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،
الدكتور محمود احمد نحلة، ط ١ ، دار
المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٦م.

- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن
قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،
ط ٣ ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر
والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن
منظور، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مراجعة
عبد المنعم خليل، ط ٣ ، دار الكتب العلمية،
بيروت/لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- مفهوم الجملة عند سيبويه، الدكتور حسن
عبد الغني جواد الأسدي، ط ١ ، دار الكتب
العلمية ، بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعيم
تشومسكي، بريجيت بارتشت، ترجمة وتعليق
الدكتور سعيد حسن بحيري، ط ٢ ، مؤسسة
المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة،
١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، الدكتور
نوزاد حسن أحمد، ط ١ ، منشورات جامعة
قار يونس، ليبيا، بنغازي، ١٩٩٦.

- نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد، دراسة
عن منهج سيبويه في النحو، مايكل جي

Abstract

This paper deal with the grammatical theory stated in Sebawuyih's book . This theory is characterized by its comprehensiveness, diversity , and variety of approaches it a dopts in description. Sebawuy worked in the same direction of modern lingubtic criticism. He also saw that certain linguistic item perform similar functions in one context. They are subject to the same relationships which are governed by grammatical substitution. This paper is an attempt to investigate the principle of linguistic analysis in Sebaway's book in terms of the substitution approach.

كارتز، ترجمة عبد المنعم آل ناصر، مجلة المورد، مجلد ٢٠، العدد ١، العراق، ١٩٩٢م.

- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الدكتور نهاد الموسى، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.